سلسلة إصدارات
الجمعية السعودية للعلوم السياسية (٩)

الهوية العربية في ظل العولمة

(إطلالة على حال الهوية في مصر والعالم العربي)

د. أحمد محمد وهبان
أستاذ العلوم السياسية المشارك
كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة الملك سعود

سلسلة إصدارات الجمعية السعودية للعلوم السياسية (٩)

الهوية العربية في ظل العولمة

(إطلالة على حال الهوية في مصر والعالم العربي)

د. أحمد محمد وهبان

أستاذ العلوم السياسية المشارك

كلية الحقوق والعلوم السياسية . جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

تمثل الهوية رابطة روحية ضميرية بين الفرد وأمته، بمقتضاها يسعى إلى إعلاء شأن هذه الأمة ورفع مكانتها بين الأمم، كما تحتم هذه الرابطة على الفرد أن يعيش مدركاً لمقومات ذاتية أمته التي هي في ذات الوقت عوامل تمايزها إزاء غيرها من الأمم، وأن يسعى دوماً إلى الحفاظ على تلك المقومات في مواجهة أسباب التحلل والانهيار، وذلك إلى جانب اعتزاز الفرد برموز أمته وإجلالها واحترامها والولاء لها. و يتمثل أبرز مقومات هوية الأمة في الدين، واللغة، والسلالة، والتاريخ، في حين يشكل العلم (أو البيرق) أحد أهم رموز الهوية.[1]

والحق أن الوعي بالهوية لدى أفراد أمة ما لابد أن يكون مقترناً بسواد روح العصبية لديهم فيما يتصل بهويتهم وذاتيتهم ومقومات هذه الذاتية وتلك الهوية، فالأمة لا تكون إلا بالعصبية أي بشعور التضامن والتلاحم الجماعي تجاه الأمم الأخرى، وإلا كان الهزال - وربما الزوال - مصيرها.[2] ويقول في ذلك الإمام محمد عبده: «**إذا ضعفت العصبية في قوم رماهم اللّه بالفشل و غفل بعضهم عن بعض، وأعقب الغفلة تقطع في الروابط، وتبعه تقاطع وتدابر، فيتسع للأجانب والعناصر الغريبة مجال التداخل فيهم، ولن تقوم لهم قائمة من بعد حتى يعيدهم اللّه كما بدأهم بإفاضة روح التعصب فيهم في نشأة ثانية**».[3]

ويتعين التنويه إلى أن المقصود بالتعصب هنا صورته المعتدلة، ذلك بأن الإفراط في التعصب يعد مذمة تبعث على الجور، والاعتداء. وإذن فالتعصب للأمة لدى أفرادها يتعين أن يكون بالقدر الذي يحفظ لها تماسكها، ويقوي شوكتها، ويلهب حماسها، ويجمع شتاتها في مواجهة أولئك الذين يتربصون بها، ويرومون فناءها.

وعلى الجملة فإن استمساك أفراد الأمة بهويتهم والتفافهم حول مقوماتها ورموزها وإجماعهم على الاعتزاز بها هي أمور من شأنها التأكيد للترابط الوثيق فيما بينهم، وترسيخ مفهوم «نحن» في نفوسهم كتعبير جماعي عن وحدتهم كأبناء أمة واحدة في مواجهة مفهوم «هم» الذي به يعبرون عن كل من لا ينتمي إلى هويتهم و أمتهم. إننا هنا بصدد فكرة الولاء الواحد، و المستقبل الواحد، والأمة الواحدة، والمصير الواحد، و الهدف الواحد، والرؤية الواحدة للآخر و للعالم، وفي كلمة إننا بصدد الهوية الواحدة.[4]

ويبقى التساؤل: ماذا عن حال هويتنا في ظل العولمة؟

قبل أن نجيب على هذا التساؤل يتعين أن نشير إلى رؤيتنا الخاصة بظاهرة العولمة، وقوام هذه الرؤية أنه مهما قيل عن تاريخ وجذور هذه الظاهرة فإنها إنما تجلت و ترسخت وبانت ملامحها كعملية إرادية غائية موجهة في أعقاب زوال الإمبراطورية السوفيتية من الخريطة الدولية في ٢٥ ديسمبر عام ١٩٩١. فلقد أسفر هذا الحادث الجلل عن آثار دولية عظيمة الخطورة طالت مقومات النسق الدولي قاطبة، وذلك بطبيعة الحال نظراً لكون الاتحاد السوفيتي أحد قطبي ذلك النسق الذي ظهر على أنقاض الحرب العالمية الثانية، وعليه فباختفاء ذلك القطب أضحى القطب الآخر (الولايات المتحدة) متفرداً بدرجة التفوق العظمى التي كانت تشاركه إياها الإمبراطورية السوفيتية الزائلة .[٥]

وتأسيساً على ذلك سعى الأمريكيون - الذين باتوا فجأة ينفردون بتقرير مصير النسق الدولي - إلى تكريس ما يعرف بالنظام العالمي الجديد، ثم سرعان ما راحوا يخرجون على العالم بمفهوم العولمة، وكعادتهم فقد راح الأمريكيون يبشرون العالمين بأن العولمة إنما هي واقع عالمي سعيد تسوده قيم السلام والشرعية الدولية، وفي رحابه ينعم بنو البشر بالرفاهية والسعادة و المساواة الحرية والعدالة، والأخوة الإنسانية التي في ظلها لا مجال للتمييز بين الناس بسبب الجنس أو السلالة أو الدين أو العقيدة.. أو غيرها .[٦]

على أية حال فإن ملاحظة مجريات الواقع الدولي في ظل العولمة تشير بوضوح إلى زيف كل تلك المقولات والمزاعم الأمريكية، حيث يبدو جلياً للعيان أن العولمة لا تعدو أن تكون عملية إرادية غائية موجهة[٧] من جانب الأمريكيين تستهدف هيمنتهم على مقدرات العالم وفرض نهجهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأيديولوجي والثقافي والإعلامي على سائر الأمم، فعلى الصعيد السياسي على الكافة أن يذعنوا لإرادة القطب الأوحد التي هي قانون لابد وأن ينفذ على المستوى الدولي، كما أن على كل دولة أن تتبنى الديمقراطية (على الطريقة الأمريكية) باعتبارها النظام السياسي الأمثل، و الذي لا بديل له .

وعلى الصعيد الاقتصادي على المجتمع أن يذعن لمقررات المؤسسات المالية الدولية (وعلى رأسها مقررات منظمة التجارة العالمية) المكرسة لتحرير التجارة الدولية، وإجبار كافة الدول على التحول الفوري إلى النظم الرأسمالية (من خلال ما يعرف بعملية الخصخصة) دونما مناقشة ودونما اعتبار لظروف تلك الدول، وما تؤدي إليه هذه المقررات من عواقب وخيمة (اقتصادية واجتماعية) على مواطنيها.

أما على الصعيد الثقافي وما يتصل بالهوية (وهو ما يهمنا في هذا المقام) فإن العولمة ـ كما نفهمها ـ تعني سحق سائر مقومات تفرد الهويات و الثقافات والتمكين لعناصر الثقافة الأمريكية تحت مسمى الثقافة العالمية، و ذلك على اعتبار أن الثقافة الأمريكية ـ حسب المروجين لها ـ هي الثقافة الوحيدة الجديرة بالبقاء والاستمرار، إنها ثقافة اللغة الإنجليزية (باللهجة الأمريكية)، والبلوجينز، والهامبرجر، والكوكاكولا، والحرية الفردية غير المقيدة بأي قيد يتعلق بالدين أو العائلة أو الأمة أو التقاليد أو العرف، إن من حق المرء أن يتخلص من كل هذه القيود التي تكبل حريته، وتحد من رغباته وميوله وأهوائه. ولعل أبلغ تعبير عما تقدم ما ورد في وثيقة مؤتمر الأمم المتحدة للسكان و التنمية (الذي عقد بالقاهرة في سبتمبر عام ١٩٩٤) من النص الضمني على أن من ضمن حقوق الإنسان حق ممارسة الرذيلة بمنأى عن أي قيود دينية أو اجتماعية.. أو غيرها.

إننا هنا بصدد سحق الهويات والخصوصيات الثقافية تحت أقدام الثقافة الأمريكية التي هي ـ حسب مروجي العولمة ـ مؤهلة لأن تجب ما عداها من هويات وثقافات، ذلك بأنها تمثل ذروة التقدم والتحضر الذي بلغه بنو البشر، إن ركب الإنسانية قد وصل الآن إلى نهاية التاريخ على حسب تعبير المفكر الأمريكي فوكوياما[٨]، إنها النهاية التي أدرك الإنسان ببلوغها أن نمط الحياة الغربي (ونموذجه الأمريكي الرئيسي) هو أفضل الأنماط الحياتية، كما أن الفكر الليبرالي الرأسمالي هو غاية منتهى التقدم البشري، وأن ما أوجده هذا الفكر من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية هي نظم لا بديل عنها لأي أمة تريد أن يكون لها مكان تحت الشمس في دنيا القرن الواحد والعشرين.

في ضوء ما تقدم نشرع الآن في الإجابة عن التساؤل الذي كنا طرحناه عن حال الهويـــة المصرية (والعربية) في ظل العولمة، إنه التســاؤل الذي يمكن إعادة طرحه بأكثر من صيغة حال هل يعاني مجتمعنا المصري (وسائر مجتمعاتنا العربية) أزمة هوية في ظل العولمة؟، أو أثمة أخطار تتهدد هويتنا من جراء العولمة؟

للإجابـــة علـــى ذلك نقول إنه حتـــى في ظل عالم ما قبـــل العولمة كانت ثمة تحديـــات تجابه هويتنـــا وتتهددها، ويرتد التحدي الأول في هـــذا الصدد إلى حالة التخلف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي عليها مجتمعنا منذ قرون، وإدراك بني جلدتنا للتفـــاوت الكبير بين مجتمعنا ومجتمعـــات العالم المتقدم من حيث القوة القومية ومستويات الرفاهية.

إذ نظـــراً لذلك التفاوت راح قطاع لا يســـتهان به مـــن المصريين والعرب يفقد الثقـــة في المجتمع وبنيتـــه وما يحكمه من نظم سياســـية واجتماعية واقتصادية وثقافيـــة، بل وفي مقومات هويتنا ذاتها، على اعتبار أن هذه المقومات وتلك النظم ـ مـــن وجهة نظر هـــؤلاء ـ هي الســـبب وراء تخلفنا عن ركب البلـــدان المتقدمة، كذلك فقد وجد مفكرون من أمثال قاسم أمين وطه حسين وغيرهم يطالبون بني أوطانهـــم بالتخلي عما يحكمهم من قيم موروثة وإبدالها بقيم الغرب معتبرين أن ذلك هو السبيل الوحيد لمن أراد اللحاق بركب التقدم والمدنية.

وحسبنا أن نشير ـ في هذا الصدد ـ إلى مقولة لطه حسين (الذي هو أحد أكبر مفكري مصر والعالم العربي المعاصرين) قوامها: «إن علينا أن نأخذ من الغرب كل شيء حتى القذى في عينيه». على أية حال فإن مظاهر أزمة الهوية داخل المجتمع المصـــري (والمجتمعات العربية عموما) قد تنامت في ظل ظاهرة العولمة، ويمكننا أن نحدد فيما يلي أظهر هذه المظاهر:

١. ظهور طبقة من المفكرين (تطلق على نفســـها المثقفين) المســـتغربين راحـــت تطفو على ســـطح الحياة الثقافية المصرية وأفســـح أمامها المجال لبـــث أفكارها من خـــلال مختلف وســـائل الإعلام الحكوميـــة ومن بينها الوســـائل الإعلامية الحكومية حال القنوات التليفزيونية العامة، والصحف

القومية، إلى جانب الصحف الخاصة وقنوات التليفزيون المستقلة بطبيعة الحال، وتدور أفكار هذه الطبقة حول العلمانية و استبعاد الدين كأساس لبناء المجتمع في شتى قطاعاته (السياسية والاجتماعية والاقتصادية و الثقافية..إلخ)، بل وما برحت تشكك في الثوابت المعروفة من الدين بالضرورة حال الحجاب، وفكرة عالمية الإسلام، كما ذهب فريق من هؤلاء القوم إلى حد الدعوة إلى استبعاد السنة كمصدر أصيل للتشريع والاكتفاء بالقرآن في هذا الصدد. ولا يخفي بطبيعة الحال ما يمثله فكر هذه الطبقة من خطر داهم على أبرز مقومات هويتنا ألا وهو الدين.

ولا يفوتنا في هذا الصدد أن ننوه إلى الظاهرة الغريبة التي كانت قد شهدتها الساحة الثقافية المصرية في عام ١٩٩٨ و التي تمثلت في مطالبة عشرات المثقفين المصريين (من المستغربين) بالاحتفال بذكرى احتلال فرنسا لمصر من خلال ما يعرف بالحملة الفرنسية لعام ١٧٩٨، معتبرين أن هذه الحملة كانت أمراً عظيماً للمصريين لأنها هي التي فتحت أعينهم على الحضارة، و كأن المصريين هم أمة بلا حضارة وشعب بلا تاريخ. و الغريب كذلك أن هؤلاء المستغربين تناسوا تلك الفظائع التي ارتكبها جنود الحملة من انتهاك لقيمنا، وتحقير لمقدساتنا، وازدراء لهويتنا. إن هؤلاء المستغربين أرادوا أن يغفروا لعسكر الفرنسيس كل جرم ارتكبوه في حق المصريين، بل وأن يحتفلوا بذكرى حملتهم معتبرين أن مجرد إطلاع الفرنسيين لنا على الحضارة الغربية هو عمل من الأهمية بمكان بحيث يغفر لهم كل خطيئة وأية جريرة، إننا ببساطة هنا بصدد ظاهرة ابتياع الحضارة الغربية بالهوية [٩]. يشار هنا إلى أن هذه الفئة تجد لها نظيرا فكريا مشابها تماما في مجتمعات الخليج العربية، إنها الفئة التي تطلق على نفسها (الليبراليين)، والتي يبدو من أدبياتها أنها لا تعرف من الليبرالية إلا ما يخالف شريعة الإسلام، ويناقض التقاليد الراسخة في تلك المجتمعات، فلا تكاد تراهم يكتبون إلا عما يسمونه حقوق المرأة ولكنها بطبيعة الحال على الطريقة الغربية. ولك أن تراجع ما يكتبه بعض ممن يسمون أنفسهم بالليبراليين في الكويت (على سبيل المثال)من دفاع مستميت عن العري والتحلل بدعوى الحرية وعدم الحجر على إبداعات الجسد!!.

٢. ظاهرة قيام بعض القطاعات (من حكومية وخاصة) باستبعاد الموظفات المحجبات (أو اللائي يتجهن إلى الحجاب) من العمل، نذكر من ذلك شركات الطيران الوطنية، والقنوات التليفزيونية الحكومية والخاصة (بالنسبة للمذيعات)، والفنادق الكبرى. و يرتبط بهذه الظاهرة انتشار الملابس الغربية (والغريبة في نفس الوقت) في الأوساط النسائية المصرية، ونظر بعض الفئات إلى اللائي يرتدين الحجاب نظرة استعلائية باعتبارهن حسب التعبيرات الدارجة (بلدي وبيئة). وفي ذلكم أيضا اعتداء - دونما شك - على وضع الدين كمقوم رئيسي للهوية المصرية. و الأدهى والأمر من ذلك أنك تجد بعض الحكومات العربية تضع محاذير صارمة على ارتداء الحجاب في كافة الأماكن العامة وعلى رأسها الجامعات والمدارس، وذلك حال الحكومة التونسية التي لم تكتف بذلك بل وضعت قواعد غريبة لتنظيم الصلاة في المساجد كاستخدام بطاقات ذكية للدخول وذلك بحجة مكافحة الإرهاب!!.

٣. ظهور صنف جديد من القنوات التليفزيونية من فضائية وأرضية يعرف بقنوات الفيديو كليب يقدر عددها بالعشرات، وهي قنوات لا دور لها ولا رسالة إلا التسابق في تقديم كل أنماط الابتذال والعري مجسدة في نوع من الأغاني الخليعة تعتمد في المقام الأول على كل حركات الجسد والإيماءات الخادشة للحياء، دون أدنى اعتبار لكونها موجهة لمجتمع إسلامي يدعو دينه إلى الفضيلة والاحتشام والستر.

يشار كذلك إلى ما يسمى بقنوات (الشات) وما تتبناه من دعوات لأنماط من العلاقات غير المشروعة ولا الشرعية تحت مسميات من قبيل التعارف والتواصل. وهذه الظاهرة ليست قاصرة بطبيعة الحال على الحالة المصرية، بل إنها حالة عربية عامة.

٤. تباهي الكثيرين داخل البلاد (وكذا كل البلدان العربية) بإلمامهم باللغات الأجنبية (لاسيما الإنجليزية) حيث يذهب بهم حب التفاخر والمظهرية إلى استخدام لفظات أجنبية - بصورة متكررة - في أحاديثهم العادية مع

أبنـــاء مجتمعهم، معتبرين أن النطق بهـــذي الألفاظ إنما هو دليل التمدن والتحضـــر والرقي، وفي ذلك اعتداء على لغتنا القومية التي هي أيضاً أحد أبرز مقومات هويتنا.

يشـــار كذلك إلى تفشـــي ظاهرة تواصـــل قطاعات هامة مـــن المديرين وكبار الموظفين مع بعضهم البعض مســـتخدمين الإنجليزية في مكاتباتهم الرســـمية وذلك على الرغم من كونهم من العرب الأقحاح كما يحدث مثلا في دبي (العربية)، والأمـــر الغريب أنهم يبـــررون ذلك بأن كتابة الخطابات بالإنجليزية أســـهل بكثير بالنسبة إليهم من كتابتها بالعربية!!!!.

٥. يرتبـــط بما تقدم وفي إطار الاعتداء علـــى دور اللغة العربية كمقوم للهوية تكالـــب معظم رجال الأعمـــال والتجار المصريين على إطلاق مســـميات أجنبيـــة على مشـــاريعهم المختلفة من قرى ســـياحية، ومحـــال، وقنوات تليفزيونية.. وغيرها، وذلك من شاكلة، دريم تي في، ونايل كوميدي، ونايل لايف، ودريم لاند، وماجيك لاند (وبعضها مؤسسات حكومية مع الأسف)، وبيفرلـــي هيلـــز، وفرجينيا بيتـــش، براديس بيتش، ..وغيـــر ذلك الكثير والكثير على نحو يصعب حصره، ويجعل المرء يشعر - وهو يجوب طرقات مدننا المصرية - وكأنه ليس على أرض عربية، وكأن اللغة العربية أضحت عاجزة عن مجرد تقديم مسميات لتلك المشروعات والمحال. وتلكم هي أيضا حالة عربية عامة لا مصرية فحسب.

٦. كذلك اتجاه الجامعات المصرية -في خطوة غير محسوبة ومتعجلة _ إلى إنشاء أقسام للتعليم باللغة الإنجليزية الأمر الذي كان من شأنه ظهور فئة من الخريجين لا تجيد التعامل بلغتها القومية وعلى الرغم من ذلك فهي تنظر إلى نفسها باعتبارها فئة متميزة نظراً لتكالب أصحاب الأعمال على توظيفهـــا (بدون داع)، وبالتالي أضحت اللغة العربية وكأنها في مرتبة أدنى من اللغة الإنجليزية، وراح آلاف المصريين - من البســـطاء - حتى يبذلون كل جهدهم من أجل إلحاق أبنائهم بأقسام اللغة الإنجليزية، ونبذ التعليم

باللغة العربية باعتباره غير ذي شأن. ويشار كذلك إلى أن هذه حالة عربية عامة، ومن المفارقات الغريبة في هذا الصدد أن جامعة بيروت (العربية) قد تخلت مؤخرا إلى حد كبير عن اللغة العربية، وأصبحت مقرراتها الدراسية تدرس في غالبيتها باللغة الإنجليزية، وذلك على الرغم من أن الهدف الأساسي من وراء إنشاء هذه الجامعة هو أن تكون بديلا عربيا لجامعات التغريب في العالم العربي حال الجامعة الأمريكية.[١٠]

٧. ظهور فئة جديدة من مذيعي ومذيعات التليفزيون ممن يرتدون ملابس غريبة ويتحدثون لغة (فرانكوآراب لقيطة) وذلك بعد أن كان المذيعون - في الماضي - يتمسكون بأهداب الاحتشام، ويتحدثون العربية الخالية من أي لفظات أجنبية مقحمة، بل ويسارعون إلى ترجمة أية لفظة أجنبية قد ترد على لسان أي من ضيوفهم، وذلك بطبيعة الحال حرصاً على اللغة القومية. أما الآن فعليك أن تراجع مسميات برامج التليفزيون (سواء في القنوات الحكومية أو الخاصة) وتشاهد بعض هذه البرامج (لاسيما البرامج الشبابية و برامج الأغاني) حتى تصاب بالإحباط من حجم الاعتداء على اللغة العربية، وبالتالي حجم الخطر المحدق بأحد أبرز مقومات هويتنا، لاسيما في ظل تراجع الفصحى أمام العامية في حياتنا، وظهور لغة غريبة (تعرف بلغة الروشنة) تنطوي على لفظات ليس لها أي أصل في أية لغة من اللغات، والغريب أن هذه اللفظات صارت متداولة على نطاق واسع في صفوف العامة، والأغرب أنك تجد لها امتدادا واضحا على ألسنة مذيعي التليفزيون من الجيل الجديد، كما تمتلئ بها حوارات الأفلام السينمائية المصرية المعاصرة،إلى جانب أنها تستخدم في الإعلانات التجارية التي تبث عن طريق الفضائيات والصحف الخاصة وحتى الحكومية دون أية رقابة على محتوى هذه الدعايات المدمرة لكل قواعد اللغة والذوق معا.

٨. ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننوه إلى ظاهرة عظيمة الخطورة باتت تهز مجتمعاتنا الخليجية وتهدد هويتها العربية في الصميم ألا وهي ظاهرة تفاقم الخلل السكاني، والتي تتمثل في تراجع نسبة المواطنين العرب

داخـل أوطانهم إلى حـد أنهم أصبحوا يمثلون أقليـة في بعض الحالات، وهي الظاهرة التي حذر منها بقوة في إحدى مقالاته الهامة المفكر العربي القطري المعروف الدكتور علي الكواري والتي عنونها ببلاغ إلى من يهمه الأمـر، ولعل من أبـرز ما ورد في تلـك المقالة قول الكـواري **(وأقول في بلاغـي هذا بخطورة ما أكدته الإحصـاءات والتصريحات من تدني نسبة المواطنين في إجمالي السكان إلى ١٠٪ في الإمارات و١٦٪ في قطر، وإلـى النصف في البحرين بعد أن كانـت قبل عام واحد فقط تسـاوي الثلثين. أما مساهمة المواطنين في إجمالي قوة العمل فقد تدنت إلى ٥٪ في الإمارات و٧٪ في قطر و١٥٪ في البحرين).**[١١]

وقد نتجت هذه الظاهرة عن لجوء المجتمعات العربية الخليجية إلى استقدام العمالـة الأجنبيـة بأعداد هائلـة وربما تكون غير مبـررة في كثير مـن الأحيان، وتنحدر النسـبة الغالبة من تلك العمالة من جنسـيات آسـيوية غير عربية حال الهندية، الفلبينية، والبنغالية، والإندونيسـية، والباكسـتانية، وغيرها. حيث يفضل المستقدمون العمالة من هذه الجنسيات نظرا لقبولها العمل بأجور متدنية جدا.

ولا يخفـى على القارئ مـا تمثله هذه العمالة من تهديد بالـغ للهوية العربية للمجتمعـات الخليجيـة نظرا لعدم إلمامهـا باللغة العربية، وبالتالـي لجوئها إلى التحـدث بلغـة ركيكة جدا للتواصل مـع المواطنين الذين عادة مـا يضطرون إلى مجاراة هؤلاء الأجانـب والتفاهم معهم بنفس هذه اللغة الركيكة الغريبة، والأخطر من ذلك أن نسـبة لا يسـتهان بها من العمالة النسـائية الوافدة تعمل كخادمات للمنازل ومربيات للأطفال الذين لا محالة سـتتأثر تنشئتهم بثقافات هذه النسوة التـي تتصـادم في كثير من الأحيان مـع الثقافة الأصيلة للمجتمـع، كما أن هؤلاء الأطفال سـيتعودون على تلك اللغة الركيكة التـي تنطق بها مربياتهم والخادمات في منازلهم، لكي تصبح هذه اللغة المهترئة بمرور الوقت هي اللغة الأكثر شـيوعا داخل المجتمع حتى بين المواطنين أنفسهم.

٩. يزداد الطين بلة حينما ترى عددا لا يستهان به من شبابنا يقومون بلف رؤوسهم أو تزيين سياراتهم بأعلام دول أجنبية كبرى (حال علم الولايات المتحدة مثلاً) الأمر الذي يمثل اعتداء على أحد رموز هويتنا وهو العلم، فالعلم ليس مجرد قطعة من القماش. و إنما هو رمز لأمة، والعجيب في الأمر هنا أن ما تستخدمه هذه الفئة من أعلام أجنبية يكون لدول ترفض هويتنا، وتحقر من شأننا، وتعادي مصالحنا القومية على المستوى الدولي.

١٠. كذلك فمن أبرز مظاهر الاعتداء على الهوية الملاحظة خلال السنوات الأخيرة ذلك الاتجاه الغريب إلى الاحتفال وعلى نطاق لا يستهان به بأعياد غربية لا علاقة لمجتمعاتنا بها من الأصل حال الكريسماس والفالنتين داي، والأغرب من ذلك أنك تجد العديد من القنوات الحكومية التي كانت في الماضي مثالا يحتذى في الالتزام والوقار تفرد يوما كاملا متزينة باللون الأحمر للاحتفال بعيد كالفالنتين داي مثلا، ويصاحب ذلك دعوات صريحة ومبطنة لكل إنسان بأن يقيم علاقات مع الجنس الآخر وكأن حياتنا لم تعد بها أية مشاكل، كما أن أمتنا لم تعد مهددة بأية مخاطر، وبالتالي فعلى الجميع أن يتفرغ للحب والغرام، وتبدو الكارثة جلية حين ترى وسائل الإعلام تستخدم تعبيرات متسامحة جدا مع الرذائل ذات الصلة كأن تطلق على العلاقات غير الشرعية بين الرجل والمرأة مثلا ممارسة الحب!!!!!

١١. يضاف إلى كل ما تقدم ظهور صورة أخرى لأزمة الهوية نجمت عن استفحال حدة التفاوت الطبقي في ظل العولمة حيث اتجاه مصر (والعديد من الدول العربية الأخرى) - تحت وطأة الضغوط الأمريكية - إلى الأخذ بنظام اقتصاد السوق، وهي الظاهرة المعروفة بالخصخصة والتي مؤداها نبذ النظم الاقتصادية الاشتراكية التي طبقتها البلاد دهراً طويلاً والمسارعة إلى إعمال النظام الرأسمالي في صورته الأمريكية دون الأخذ في الاعتبار ما يؤدي إليه هذا التسرع من عواقب اقتصادية واجتماعية وخيمة يأتي على رأسها اتساع هوة التفاوت الطبقي بصورة خطيرة يتقلص في ظلها عدد

الأغنياء ويتعاظم عدد الفقراء وتتآكل الطبقة الوسطى ويتآكل معها ما كانت تحققه للمجتمع من توازن اجتماعي، وتطل برأسها صورة جديدة لأزمة الهوية حيث نصبح وكأننا أمام أمتين تعيشان داخل مجتمع واحد (أمة من الأغنياء و الأخرى من الفقراء)، وينظر أبناء الطبقة الدنيا إلى نظام الحكم القائم بل وإلى المجتمع قاطبة باعتباره أداة لحفظ امتيازات الطبقة العليا، وبالتالي تسودهم مشاعر السخط و الحنق إزاء هذه الأوضاع، وتتضاءل في نفوسهم قيم الولاء لمجتمع يعتبرهم مجرد عاتق يرتقي عليه غيرهم الأمر الذي يجعل فكرة الهوية والانتماء إلى الأمة والمجتمع باهتة في وجدانهم[١٢].

على أية حال فإن ما تقدم هو مجرد عرض موجز - لا أكثر - لشيء مما تجابهه هويتنا العربية الإسلامية من تحديات جسام وأخطار جمة في ظل العولمة والهيمنة الأمريكية[١٣].

إن في ثنايا كل ما تقدم ما يشي بأننا نعيش أزمة هوية حقيقية، إننا الآن أفرادا وأسرا، ومؤسسات تعليمية وفكرية (مدارس ومعاهد وجامعات ومراكز بحثية)، ومؤسسات اجتماعية (نوادي وروابط ونقابات وهيئات)، ومؤسسات دعوية (مساجد وجمعيات)، ومؤسسات إعلامية (صحف وإذاعات وقنوات تليفزيونية، ومواقع ومنتديات عنكبوتية)، وعلماء دين وقادة فكر، ومؤسسات سياسية رسمية وتنظيمات غير رسمية _ كلنا كلنا مسئولون عن تلكم الأزمة، كما أن الخروج منها واستعادة هويتنا ممكنة في أوطاننا حية في وجدان سائر بني جلدتنا هو أيضا مسئوليتنا كلنا كلنا.

وعلى اللّه قصد السبيل.

قائمة المصادر

١٢. راجع بصدد الهوية ومقوماتها بالتفصيل: أحمد وهبان، الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر: دراسة في الأقليات والجماعات والحركات العرقية (أليكس لتكنولوجيا المعلومات،الإسكندرية، الطبعة الخامسة،٢٠٠٧). ص ٧٩ -٨٩.

١٣. راجع في هذا المضمون: برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات (سينا للنشر، القاهرة، ١٩٨٨).ص ٤٤.

١٤. هذه الآراء للإمام محمد عبده نقلا عن المرجع السابق، ص ٤٤-٤٧.

١٥. أحمد وهبان، م.س.ذ، ١٤٧.

١٦. محمد طه بدوي، ليلى أمين مرسي، النظرية العامة للعلاقات الدولية، (الطبعة الرابعة، الإسكندرية،١٩٩٢).ص٢٩٥-٢٩٦.

١٧. أحمد وهبان، تحليل إدارة الصراع الدولي: دراسة مسحية للأدبيات المعاصرة(مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، أبريل ٢٠٠٨). ص٥٣ .

١٨. من أبرز الدراسات العربية التي أسهمت في إظهار حقيقة العولمة: ممدوح منصور، العولمة: دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد (دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية،٢٠٠٣).

١٩. يمكن الرجوع تفصيلا إلى الترجمة العربية لكتاب فوكوياما: فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين (مركز الأهرام للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٣).

٢٠. راجع بصدد أزمة الهوية تفصيلا: أحمد وهبان، التخلف السياسي وغايات التنمية السياسية: رؤية جديدة للواقع السياسي في دول العالم الثالث (أليكس لتكنولوجيا المعلومات، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤).

٢١. أود الإشـــارة بالنســـبة لموضوع اللغة الإنجليزية فأنا على الإطلاق لســـت ضدها وأنا مدرك بطبيعة الحال أهميتها كلغة للعلم (باعتبار أن العصر ليس عصرنا طبعا) وكذلك كلغة للتواصل مع العالم لاسيما وأن العالمية والتواصل مع بني البشـــر هي خاصة رئيســـية من خصائص الإســـلام الذي هو كما نؤمن دين جاء للعالمين قاطبة، أما اعتراضي على أقســـام الدراســـة باللغة الإنجليزية في بعض التخصصات فمرده إلى أســـباب عديدة مع تســـليمي بضرورة اعتماد هذه اللغة في تخصصات أخرى ربما بســـبب تقاعسنا كأمة لـــم نقدم لها تعريبا مقنعا حتى الآن، أما عدم قبولي لزحف هذه اللغة على بعض التخصصات فمرده كما قلت لأسباب عديدة لعل من أهمها:

- أولاً: أن هـــذا الأمـــر يعني تراجـــع لغتنا القومية فـــي بلادها بدلا من تطويرهـــا كلغـــة للتخصصات التي تســـتأثر بهـــا الإنجليزية كالطب والصيدلة والحاســـوب وغيرها، فبعـــد أن كنا نطالب بتعريب تدريس الطـــب أصبحنا نـــدرس بالإنجليزية المحاســـبة والسياســـة والإدارة والإعـــلام والقانون وغير ذلك الكثير (وبالمناســـبة ما رأيك في إحدى الجامعات المصريـــة الخاصة التي ترفض تماما أي أثر للعربية داخلها بما في ذلك موقعها الإلكتروني؟).
- ثانياً: كما تعلمين أن هذي الأقســـام الجديدة في معظم الأحيان تقف وراءها اعتبارات تجارية بحتة، ثالثا أن هذه الأقسام المستجدة (والتي يدفـــع الملتحقون بها مبالغ طائلة لقاء هذا الالتحاق) كرســـت ظاهرة عدم الشـــعور بالمســـاواة بين أبناء الشـــعب الواحد خصوصا في ظل اســـتخدام الأمر في التباهي (وعفوا الفشـــخرة) باعتبار المتحدث في كلية (تجارة إنجلش) وليس مجرد كلية تجارة عربي (بلدي).

٢٢. راجـــع هذه المقالة عظيمة الأهمية للدكتور علي الكواري والمعنونة: الخلل الســـكاني اعتداء على حقوق المواطن: بلاغ إلى من يهمه الأمر، صحيفة العرب القطرية، ١٠ أبريل ٢٠٠٨. وهو متاح على موقع الصحيفة:

http://www.alarab.com.qa

٢٣. راجع في هذا المضمون: أحمد وهبان، التخلف السياسي، م.س.ذ.

٢٤. يعتبر الدكتور جلال أمين واحدا من أكثر المفكرين العرب معالجة لمسألة التحديات التي تجابه الهوية العربية الإسلامية في ظل العولمة، ولعل من أهم دراساته التي عنيت بهذه المسألة:

- تنمية أم تبعية اقتصادية وفكرية (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٥).
- التنوير الزائف (دار المعارف، القاهرة،١٩٩٩).
- عصر التشهير بالعرب والمسلمين: نحن والعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ (دار الشروق، القاهرة،٢٠٠٤).

السيرة الذاتية

- الاسم : د / أحمد محمد محمد وهبان
- تاريخ ومحل الميلاد : ١٠/ ٦/ ١٩٦٥ – جمهورية مصر العربية.
- الوظيفة الحالية: أستاذ مشارك بكلية الحقوق والعلوم السياسية ـ جامعة الملك سعود بالرياض - المملكة العربية السعودية.
- أستاذ العلوم السياسية المشارك بكلية التجارة ـ جامعة الإسكندرية ـ جمهورية مصر العربية.
- التخصص العام: العلوم السياسية.
- التخصص الدقيق: العلاقات الدولية.
- حصل على درجة دكتور الفلسفة في العلوم السياسية من جامعة الإسكندرية عام ١٩٩٦.
- حاصل على جائزة الدولة التشجيعية - جمهورية مصر العربية (٢٠٠١).
- حاضر طلاب مرحلة البكالوريوس ومراحل الدراسات العليا بجامعة الإسكندرية وبعض الجامعات العربية في موضوعات مقررات عديدة أهمها:

١. مدخل العلوم السياسية.

٢. النظرية العامة للعلاقات الدولية.

٣. تاريخ الفكر السياسي.

٤. التنمية السياسية.

٥. سياسات خارجية معاصرة.

٦. التاريخ الدبلوماسي.

٧. مشكلات سياسية دولية.

٨. العلاقات الدولية في الإسلام.

٩. تطور السياسة الدولية.

١٠. النظرية السياسية.

١١. مقدمة في العلاقات الدولية.

١٢. تحليل السياسة العامة.

١٣. نظام الحكم في الإسلام

١٤. لتنظيم العالمي

له العديد من الكتب والأبحاث والدراسات المنشورة منها:

١. العلاقات الأمريكية الأوربية بين التحالف و المصلحة (مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٩٥).

٢. الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر : دراسة في الجماعات و الحركات و الأقليات العرقيـــة (دار الجامعة الجديدة، والدار الجامعية «خمس طبعات»، الإسكندرية، ١٩٩٧ ، ١٩٩٩، ٢٠٠١ ،٢٠٠٧،٢٠٠٣).

٣. ظاهرة التخلف السياســـي: رؤية جديدة للواقع السياســـة في العالم الثالث (مجلة كلية التجارة ، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٩).

٤. لتخلف السياســـي وغايات التنمية السياسية (دار الجامعة الجديدة، و الدار الجامعيـــة، وأليكس لتكنولوجيـــا المعلومات، الإســـكندرية «ثلاث طبعات» ١٩٩٩، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤).

٥. التاريخ الدبلوماسي: العلاقات السياسية بين القوى الكبرى ١٨١٥ – ١٩٩٠ (دار الجامعة الجديدة، الدار الجامعية، أليكس لتكنولوجيا المعلومات، الإسكندرية «خمس طبعات» ٢٠٠٠، ٢٠٠١ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤،٢٠٠٦) - بالاشتراك.

٦. الفكر السياســـي للمـــاوردي: رؤية معاصـــرة (مجلة كلية التجـــارة – جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٠).

٧. الماوردي: رائد الفكر السياسي الإسلامي (دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠١).

٨. حلف شمال الأطلنطي: العلاقات الأمريكية الأوربية بين التحالف و المصلحة ١٩٤٥ – ٢٠٠٠ (دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠١) – بالاشتراك.

٩. الصراع الهندي الباكســـتاني في مرحلة الحرب التقليدية (مجلة كلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠١)

١٠. الصـــراع الهندي الباكســـتاني و الخيار النووي (مجلة كليـــة التجارة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٢).

١١. مدخل العلوم السياسية، (دار خوارزم، القاهرة، ٢٠٠٢) – بالاشتراك.

١٢. مقدمـــة إلـــى العلاقات السياســـية الدولية (أليكـــس لتكنولوجيـــا المعلومات، الإسكندرية، ٢٠٠٤)- بالاشتراك.

١٣. الصراع الهندي الباكســـتاني بين الحرب التقليدية والخيار النووي (أليكس لتكنولوجيا المعلومات، الإسكندرية، ٢٠٠٥).

١٤. مدخل العلوم السياسية، (أليكس لتكنولوجيا المعلومات، ٢٠٠٧) - بالاشتراك.

١٥. تحليل إدارة الصراع الدولي: دراسة مسحية للأدبيات المعاصرة (مجلة عالم الفكر- الكويت، أبريل ٢٠٠٨).

١٦. السياســـة الأمريكية تجاه مشـــكلة دارفور بين اعتبـــارات المصلحة ودعاوى الأخلاقية (مجلة كلية التجارة بدمنهور، جامعة الإسكندرية، يناير ٢٠٠٩م).

١٧. نشر العديد من هذه المؤلفات إلكترونياً على : www.kotobarabia.com

للتواصل مع الجمعية

ص.ب ٧٠٥٦٦ الرياض ١١٥٧٧ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٧٠٣٨٤ ٠١ - ٤٦٧٠٣٨٥ ٠١ - فاكس: ٤٦٧٠٣٨٣ ٠١

البريد الإلكتروني: spsaksu@yahoo.com

www. spsaksu.org